خطبة مهلاً أيها الزوج

الجمعة ٢٠/٧/١٤٣٩ هجري .

الحمد لله ، شرع الأحكام للعباد وبصّرهم السبيل ، أحمده سبحانه وهو اللطيف الخبير ، والصلاة والسلام على أحسن النّاس خلقًا مع الأقربين والأبعدين .

أما بعد ، فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ، فمن اتقى الله عاش حياة طيبة ونال سعادة الدارين .

عباد الله ، اتبعوا أوامر ربكم واقتفوا هدي نبيكم عليه الصلاة والسلام؛ فالخير كله فيهما .

أيها الإخوة ، ابتداءً أعتذر لكم عن هذه الأرقام المقلقة والمخيفة ، التي سأذكرها لكم عن حالات الطلاق في بلادنا ومجتمعنا .

أعلم أنها مؤلمة ومحزنة ومزعجة لكل أحد حريص على تماسك المجتمع واستقرار الأسر ، ولكنّه الواقع الذي لا مناص منه ؛ الواقع الذي يحتاج منّا إلى وقفات لمعرفته ، ويستدعي منا عدم التغافل عنه ، ويلزمنا ضرورة البحثُ عن سبل العلاج له .

تقول إحصائية وزارة العدل الأخيرة إنّ عدد حالات الطلاق في البلاد خلال الشهرين الماضيين ، أقول خلال الشهرين الماضيين فقط (عشرة آلاف حالة طلاق) هل استوعبتم الرقم جيدًا ؟ !

أكرر إنها عشرة آلاف حالة طلاق ، أي خمسة آلاف حالة طلاق كل شهر ، وبلفظ أشد وضوحًا مئة وستة وستون حالة طلاق كل يوم .

أرقام مخيفة ، وإحصائية مؤلمة ، فالطلاق ينتج عنه فراق مخيّب للآمال ، وحزن قاسٍ يخيّم على آلاف الأشخاص والبيوت ، وآثار سلبية على المجتمع .

ويزيد الألم ويعظم الحزن ، عندما نعلم أن هذه الحالات في ازدياد مطّرد ، ففي عام ألف وأربع مئة وثمانية وعشرين ، كان عدد حالات الطلاق شهريًّا ستًّا وستين حالة ، واليوم ترتفع لتُصبح مئة وستًّا وستين حالة شهريًّا .

عباد الله

الطلاق أمر جاءت الشريعة بإباحته ، بل إنّه يدخل في الأحكام الخمسة للشريعة ، الدائرة بين الوجوب والاستحباب والتحريم والكراهية والإباحة ، ولكن من نظر لواقع حالات الطلاق وبحث في أسبابه ، وجد أنّ فيه من الاستهتار والعجلة والطيش ما يجعل المصلحين والغيورين والآباء بل والأزواج يقفون معه وقفات ، ويتداركون الأمر قبل استفحاله .

إنّ هذه الكثرة الكاثرة لحالات الطلاق لتُنذر بمآسي وتبعات يصطلي بها المجتمع بأسره وليس الزوجان فقط .

إنّ الطلاق يا عباد الله يعني هدم أسرة ، وتقطيع أواصر رحم إذا كان الزوجان من القرابة ، ووجود عداوات بين النّاس ، وتشرّد أبناء ، وألمًا يُصيب أمهاتٍ وآباء .

ومما يستدعي الوقوف مع هذه الإحصائية أنّ كثيرًا من هذه الحالات تحصل في بداية الزواج ، فيُطلق الزوج زوجته بعد شهر أو شهرين ، بل ربما في فترة العقد الذي لا يُنصح أن تطول مدته .

ومن نظر في نصوص الشريعة وجد أنّها جاءت بحلول كثيرة للمشكلات الزوجية التي لو أخذ بها الأزواج لما وصلت حالات الطلاق لهذا العدد المؤلم ، فالبيوت كما لا يخفى لا تنفك عن المشكلات ، بل قد يستمر زواج الاثنين سنين عديدة ، ومع ذلك لا تنتهي مشكلاتهم ولكنّهم يُداري بعضهم بعضًا ، ويتحمّل بعضهم بعضًا ، وواقع آبائنا خير شاهد.

لقد بيّنت آيات سورة النساء الحلول الناجمة عند نشوز الزوجة وترفعّها عن أوامر زوجها بقول الله تعالى : " وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥) سورة النساء .

فعند وجود مشكلة في البيت فعلى الزوج أن يبدأ بوعظ زوجته ودعوتها إلى طاعته ، والجلوس معها في أوقات متفاوتة لمناقشة هذه المشكلات ، ولتكن مستحضرًا أيها الزوج أنّ المرأة اليوم لم تعد تلك المرأة التي تستقبل توجيهات الرجل بدون مناقشة وأخذ ورد ؛ هذا واقعٌ لا ينبغي للزوج أن يُنكره ، فقد غدت متعلمة ، وصاحبة رأي وكيان في المجتمع ، فانظر لها هذه النظرة حتى تعرف كيف تتعامل معها .

وبعد الوعظ استعمل أيها الزوج أسلوب الهجر إن رأيت أن الوعظ غير نافع ، هجرًا يؤدي المقصود من إظهار الغضب وعدم الرضا ، ويتضمن اعترافًا أنّ هناك مشكلة تحتاج إلى حل ، فإن لم ينفع الهجر فيمكن اللجوء إلى الضرب غير المبرّح ، ضربًا المقصود منه الحمل على الإصلاح ، وإن كان الضرب غير مرغوب فيه في الشريعة ، وإنما يُصار إليه في أضيق الأحوال .

وهنا وقفة للآباء وإخوة المرأة عندما يعلمون أنّ الزوج قد ضرب ابنتهم ، فإنّهم قد يُقيمون الدنيا ولا يُقعدونها بسبب هذا الضرب ، مع أنّه أسلوب علاجي قرآني قد جاء به كتاب الله ، ومن ثمَّ فعليهم أن يرضوا به ، ولكن بدون تفريط من الزوج ؛ لأنّه تركه ولا شك أن تركه أولى وأجدى ؛ وذلك أنّه لمّا أذن الرسول صلى الله عليه للرجال بضرب النساء ، استخدم بعض الرجال هذا الإذن بطريقة غير منضبطة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبًا في الناس وقال : " لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ، ليس أولئك بخياركم " رواه أبو داود وغيره .

ولم يجعل النبي صلى الله عليه وسلم من يضرب امرأته من خيار النّاس - مرغّبًا في عدم اللجوء لهذا الأمر إلا في أضيق الظروف – فقال :

" لا يجلد أحدكم امرأته جَلْد العبد ، ثم يجامعها في آخر اليوم " رواه البخاري ومسلم .

وبّوب عليه الإمام البخاري رحمه الله :

باب ما يُكره من ضرب النساء .

وقول الله : (وَاضْرِبُوهُنَّ) : أي ضربًا غير مبرح .

وكل هذا أساليب توجيهية ، المقصود منها الحفاظ على هذا البيت وعدم هدمه ، وإن لم تنفع هذه الأساليب لجأ الزوجان للحكمين عند استمرار المشكلات حفاظًا أيضًا على كيان هذه الأسرة لعل الله أن يؤلف بين القلوب .

فتشوا وابحثوا - يا عباد الله - في حالات الطلاق في مجتمعنا ، هل تجدون إتباعًا لهذا الهدي قبل إطلاق كلمة الطلاق وهدم البيت ، وإبطال هذا العقد المتين ؟! أجزم أنّه أندر من النادر .

أيها الزوج ، أيها الشاب ، إنّ عقد الزواج عقد متين ، ينبغي للزوجين أن يراعوه وقد أمرهم الله بذلك ، كيف وقد سماه الله ميثاقًا غليظًا ، فقال سبحانه : " وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم

مِّيثَاقًا غَلِيظًا " (٢١) سورة النساء .

قال جمعُ من المفسرين في تعريف الميثاق : هو الإمساك بالمعروف أو تسريح بإحسان .

لقد اختارك الولي أيها الزوج لتكون زوجًا لابنته ، واصطفاك من بين النّاس ليُؤمنك على فلذة كبده ، فاقدر لهذا التقدير قدره ، وارعه حق رعايته .

بعض السفهاء من الشباب ربما يظنّ أنّه صاحب منّة على هذا الرجل إذا تزوج ابنته ، فيُقال له : رويدك ، هوّن على نفسك من هذا الغرور ، إنّ المنّة للولي الذي رضي بك ، ولولا حسن خلقها وتربيته لها لما اخترتها من بين الفتيات ، فاعرف لأهل الفضل فضلهم .

أيها الأزواج ، النظرة الصحيحة للزواج سببٌ مهم في ديمومته وبقائه واستمراره ، فالزواج ليس نزوة عابرة ، أو فرصة لقضاء الوطر ، وتفريغ لشهوة فقط .

الزواج بناء أسرة مسلمة ، وسببٌ في إنجاب ذرية طيبة صالحة تعبد الله تعالى ، وولد يكون سندًا للإنسان في حياته ، فأحسن نيتك فيه ، واعرف مقاصده .

الزواج سبيل لكسب الأجر في رعاية زوجة وأبناء وتربيتهم والإنفاق عليهم ، ففي الحديث : " دِينَارٌ أَنْفَقْتَه فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَه فِي رَقَبَةٍ ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْت بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَه عَلَى أَهْلِك ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْته عَلَى أَهْلِك " رواه مسلم .

الزواج يعني التعامل مع زوجة بحُسن الخلق لتفوز بفضائله ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن النّاس خُلقًا مع زوجاته ، وفي الحديث :

" خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي " رواه الترمذي .

الزواج صبر ومصابرة لأنّ فيه من المقاصد والمصالح ما يجعل الزوجين يتحملان بعضهما .

أيها الزوجان ، من الخطأ البيّن - وهو سببٌ مهم - في المشكلات الزوجية التي تؤدي إلى الطلاق ، أن يظن كل منهما في صاحبه الكمال المطلق ، فيدخل كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه وقد رسم صورة ذهنية عن الآخر ، فيُفاجأ بغير ما رسم ، فتحدث الصدمة عنده ، ولو كان الزوجان واقعيين لعلما وأيقنا أنّهما بشرٌ كل واحدٍ منهما يحمل صفات حسنة وسيئة ، ولعاشا معًا الحياة الطيبة .

ويدخل الزوجان - أيضًا - ولا يريد أحدهما من صاحبه هفوة ، ولا يسمح بزلة ، ولا يرضى بنقص وهذا – لو عقل - لا يكون أبدًا ؛ فالإنسان مجبولٌ على النقص والظلم ، وحب الذات والاعتزاز بالرأي ، فالنظرة الصحيحة للإنسان بشكل عام تُريح الزوجين من تطلّب الكمال في أحدهما ، ولذا وضع لنا رسول الله صلى الله عليه والسلام قاعدة مهمة في الزواج بقوله :

" لَا يَفْرَكْ - أي لا يُبغض - مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ " (رواه مسلم)

فبهذا الحدث يُرشد النبي صلى الله عليه وسلم (كل واحد من) الزوجين إلى كيفية التعامل مع الآخر ، وهو أن ينظر إلى الأخلاق الحسنة في صاحبه - ولو أنصف لوجدها كثيرة جدًّا – ويغض الطرف عن النقص .

ولا يأتي في بالك أيها الزوج أنّ غير زوجتك عندها من الأخلاق ما ليس عند زوجتك ، فكل بني آدم قد جُبلوا على النقص ، والنفس من طبيعتها تُحب البعيد وتزهد في القريب ، ولكنّ العاقل من رضي وقنع .

وقد بيّن صلى الله عليه وسلم للأزواج حقيقة المرأة وأنّها خُلقت من ضِلَع ، وأنّ من أراد الاستمتاع بها يستحيل أن يستمتع بها إلا وهي بهذا العِوَج ، فمن أراد الكمال لها ، أو أنها توافقه على كل حال فهو يطلب المحال .

فلو كان الأزواج واقعيين ، عارفين بهذه الحقائق لقلت نسب الطلاق في المجتمع .

عباد الله ، من أسباب الطلاق والزهد في الزوجة النظر إلى نساء الفضائيات المتجمّلات بالمساحيق ، فهو سببٌ رئيسيٌ في النفور من الزوجة ، وكذلك النكت والطرائف الدارجة بين الرجال في هذا الشأن لها أثرها السلبي على الأزواج ، فعلى الرجال والنساء أن يتقوا الله ، ولا ينظرا (ينظروا) في هذه

الصور ، فهي إضافةً إلى حرمة النظر إليها ، لها الأثر في زهد الزوج بزوجته وزهد الزوجة بزوجها .

أيها الأزواج ، ما ترون في الفضائيات من صور الرجال والنساء ، إنّما هو لأناسٍ تم اختيارهم بعناية للإغراء والإفساد ، ولو أزالوا ما عليهم من المساحيق لعرفتم قيمة ما تملكون ، فليتق الله كل واحدٍ منكم ، وليتبع شرع ربه بغض البصر ، وليرضَ بما قسمه الله له .

أيها ألأزواج (الأزواج) ، من الوصايا المهمة في استمرار الحياة الزوجية والبعد عن الطلاق ، أن تُعالِجا مشكلاتكما في مهدها قبل استفحالها وكبرها ، وألا تسمحا لأحدٍ كائنًا من كان بأن يتدخل بينكما حتى ولو كانا الوالدين " فقد أفضى بعضكم إلى بعض " وبينكما من الأسرار والمحبة والمودة ما يجعلكما تتغلبان بإذن الله على كل مشكلة ، تجمّلا لبعضكما وتحببّا ، أظهرا المودة والمحبة بينكما ، ابتعدا عن أسلوب الجفاف الذي تعاني منه كثير من البيوت ، ليُراعِ كل واحد منكما حاجة صاحبه فيتجمّل في هندامه ولبسه ، وليتفقد رائحته ونظافته ، ولا يستهن أحدكما بهذه الأمور ؛ فكم كانت سببًا في الطلاق ، افعلا ذلك لأنّ الله أمركما بذلك بقوله : " وَلَهُنَّ مِثلُ الَّذِي عَلَيهِنَّ بِالمَعرُوفِ " ٢٢٨ سورة البقرة

قال ابن عباس رضي الله عنهما : والله إني لأتجمّل لامرأتي كما أحب أن تتجمّل إليّ .

أيها الآباء ، أيها الأولياء ، بصّروا أبناءكم وبناتكم قبل الزواج بأهمية الزواج وحقوق الزوجين بعضهم على بعضهم ، اعقدوا معهم جلسة إرشادية تبينون فيها الطرق المناسبة للتعامل في حياتهم الزوجية وحل المشكلات ، نوّروا دربهم في هذه الحياة الجديدة ، اغرسوا في نفوسهم أنّ الزواج مسؤولية لها تبعات ويحتاج إلى صبر وبصيرة وتحمّل .

كثيرُ من الأبناء والبنات يدخلون هذه الحياة التي تتطلب إدارة حسنة لها ، ومعرفة بطبيعتها دون بصيرة ومعرفة ، ولم يجدوا من الآباء والأولياء أي توجيه فيحدث ما لا تُحمد عقباه من المشكلات والمنغصّات وحالات الطلاق ، واعلموا أنّ هذه التوجيهات من مقتضيات الأمانة التي وُكلتم بها .

اللهم احفظ أبناءنا وبناتنا وبصّرهم بما ينفعهم ، بارك الله لي .....

الخطبة الثانية

عباد الله ، إنّ هدي الإسلام خير هدي في الأمور كلها ، وقد جاءت الأحكام الشرعية للطلاق بالخير كله تقليلاً له ، وحفظًا للحقوق ، وسعيًا في بقاء بيت الزوجية ؛ لأنّ العجلة مذمومة فيه .

كم من زوج طلق وندم على طلاقه في ساعة لا ينفعه فيها الندم .

لقد أرشدنا الله إلى أقوم الهدي في الطلاق فقال سبحانه : "أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا * فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا " (١-٣) سورة الطلاق

وجاء تصدير الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - تشريفًا وتكريمًا ، وهو للأمة من بعده ؛ وذلك أنّه إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته فليُطلق وفقًا للسنة ، وذلك في حال طهر لم يجامعها فيه ، أو في حال حمل قد استبان ، أمّا دون ذلك فالطلاق عليه محرّم ، وانظر كيف جاءت الشريعة بالقيود التي تُقلل الطلاق ، فلا يطلقها وهي حائض ، ولا في طهر قد جامعها فيه ، فلو أن رجلاً قرر طلاق زوجته فكانت حائضًا فاتبّع الشرع وتروى لقل الطلاق ؛ لأنه سيفكر كثيرًا قبل الطلاق ، ولو أراد أن يُطلق في طهر جامع فيه زوجته فسيتروى – أيضًا - اتباعًا للشرع ، ولكن انظر إلى واقع المطلقين تجد المطلق لا يراعي هذه الأحكام ، فيطلق وهي حائض ، أو يجامع في الصباح ويطلق في المساء جاهلاً هذه الأحكام أو ضاربًا فيها بها عُرض الحائط .

فإذا لم يزل مصرًّا على الطلاق ، فعليه أن يُطلق وفق السنة ، فيطلقها طلقة واحدة لأن المشرّع الحكيم حرّم جمعَ الثلاث بلفظٍ واحد ، روى

النسائي في سننه أنّ رجلاً طلّق في عهدِ النبيّ صلى الله عليه وسلم امرأته ثلاثًا ، فغضِب صلى الله عليه وسلم وقال :

" أيُلعَبُ بكتاب الله وأنا بين أظهُركم "

وإذا طلقها فلا يجوز لها أن تخرج من بيتها ولا يُخرجها الزوج ، وهذا البقاء فيه من المصالح ما لا يخفى ، فلعله ينظر إليها وتنظر إليه وتعود المياه إلى مجراها ويلتم الشمل ، ولكن انظر لهذا الهدي ولواقع النّاس ، فإنّه بمجرد طلاقها تخرج من بيتها ، ويأتي أهلها فيأخذونها من بيتها ، وتقل مع هذه التصرفات الخاطئة نسبة رجوعها ، ثم يحصل الندم بعد ذهاب فورة الانتقام .

فيا أيها الأزواج ، يا أيها الأولياء ، اتبعوا شرع الله في أموركم كلها ، ففيه الخير كله ، وتفكروا لو أخذ الرجال بهذه التعليمات والتوجهات الربانية فهل تصل نسبة الطلاق لهذا العدد ؟!

أيها الزوج

قبل أن تتفوه بكلمة الطلاق فكّر جيداً في تبعاته ، فأنت أول الخاسرين فيه ، ستخسر استقرارك وبيتك ، كم ستحتاج لبناء أسرة أخرى في ظل هذا الواقع ، ولذا علبك أن توازن بين المصالح والمفاسد .

فكّر في والديك وحزنهم وحزن والديها .

فكّر في أرحام ستِقطّع ، وأواصر ستُبدد .

فكّر في أولادك والأثر السيء عليهما بعد الفراق .

فكّر في هذه المرأة التي ربما عشت معها ردحاً من الزمان ، وربما كان لك منها ولدٌ كانت ترعاه وتُحسن إليه .

فكّر في محاسنها وأعمالها الطيبة معك ، وانظر لنظرة المجتمع لها بعد طلاقها وألمها النفسي .

احتسب في صبرك وأيقن بحسن عاقبته .

وعلى الزوجين جميعاً الإكثار من الطاعات والدعاء ، والبعد عن المعاصي والمحرمات فلهذه الأمور أثرها البيّن في حياة المرء الخاصة والعامة .

هذا وصلوا وسلموا ...